الشوط النضالي الطويل المليء بالانتصارات الجزئية والمرحلية قد اقنع الخصم بأن التسليم بشروط المنتصر هو الخيار الوحيد الذي لا مناص منه . وفي هذه الحالة ، يعلمنا التاريخ ان المنتصر يقدم اقسى ما لديه من شروط لينال بعد « تنازلات » يقبل بها افضل اوضاع تخدم اهدافه التي قاتل من اجلها وتتلاءم مع المعطيات الموضوعية على جانبي الصراع . وفي حالة الهزيمة ، تحت وطأتها وسيطرة عناصرها الساحقة لكل امل واثق من طردها ، يجد المهزوم نفسه مضطرا للامتثال لشروط المنتصر مع محاولات حثيثة ، مستميتة ، لنيل اخفها وطأة في ضوء درجة الهزيمة ومقدار فداحتها والظروف الخاصة والعامة التي احاطت بها .

الى أي مدى ينطبق مثل هذا العرض على حركة المقاومة الفلسطينية وعلى أي من اطراف المعادلة تقف هذه الحركة ؟ في البداية علينا ان نثبت بديهية نراها وهي ان كل حل لا ينطبق باجمال على الاهداف المعلنة لحركة المقاومة هو **تنازل** بغض النظر عن مسبباته ودواعيه ، فقد يكون هناك « تنازل » المنتصر عن اقسى شروطه المعلنة لنيل أهدافه الحقيقية ، كما قد يكون في المقابل تنازل المهزوم المفروض عليه هذا التنازل. فهل تمثل حركة المقاومة أيا من هاتين الحالتين ؟ مما لا يحتاج الى اثبات ان حركة المقاومة لم تنتصر . هي بالفعل حققت كثيرا من الانجازات بيد ان انتصارها النهائي لا يزال شوطه المعاني مترامي المسافات . وبذلك فان أي تنازل تقدمه (اقليم فلسطيني في مملكة عربية متحدة ، مفاوضات ، دولة فلسطينية الخ) لن يكون « تنازل » المنتصر . في المقابل هل انهزمت حركة المقاومة لتقبل بتنازل المهزوم ؟ على الرغم من ان السؤال راعش الا ان مواجهته تضع كثيرا من الحقائق في حجمها الصحيح . ان الجواب « حركة المقاومة لم تهزم » ليس جوابا تعسفيا وانما هو مبني على استقراء معطياتها نفسها : فحركة قادرة على حمل جراحها التي اثخنها ايار اللبناني وفقدان ثلاثة من قادتها في عملية واحدة ، والذهاب بهذه الجراح — في ظروف من الحصار النفسي والعسكري والسياسي رهيبة — الى عمق الارض المحتلة لتنفذ بعض عملياتها (راجع جدول عمليات المقاومة في هذا العدد)، حركت كهذه تثبت ان عطاءها الثوري يحمل بذور استمراره وامكان تطويره نحو الارقى . ان عملية تعريب تصفية المقاومة بكل شراستها لم تستطع ان تفقد حركة المقاومة ادواتها النضالية . صحيح كانت الوطأة شديدة أعاقت تطوير الكفاح المسلح نحو الاشمل ، بيد ان هذه العملية بمراحلها المختلفة وبتباين الساحات التي جرت فوقها لم تتمكن من تحطيم وسائل النضال التي تتملكها حركة المقاومة . هي **حاصرتها** فعلا ولكنها عجزت عن **وأدها** . والبرنامج هل هزم ؟ نقفز فوق التاريخ وحقائقه اذا زعمنا بأن هناك بديلا للبرنامج الذي طرحته حركة المقاومة والذي يجعل حرب الشعب طويلة المدى صلبه ومحوره مستندا الى نتائج تجارب الشعوب التي انتصرت بقواها البشرية المعبئة على تفوق الخصم التكنولوجي . حتى الدولة الديموقراطية التي يتعايش فيها الجميع بحقوق وواجبات متساوية ، وهي الهدف التثويجي للنضال المسلح ، قد وجدت استجابة حقيقية لدى بعض اليهود المخاطبين بهذا الهدف . والا فما تفسير ظاهرة « الجبهة الحمراء » في اسرائيل التي تضم عربا ويهودا ؟ وما تفسير تصريح الجنرال اهارون ياريف لصحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية (٧/٦ انظر « المحرر » ٧/٧) واعترافه بأن هناك بعض اليهود وعددا قليلا من الاسرائيليين يساعدون الفدائيين العرب ؟ ان كانت هذه الاستجابة تبدو على نطاق ضيق حتى الان فان صدق المقاومة مع شعار الدولة الديموقراطية وتصعيد نضالها كفيلان بتوسيع هذه الاستجابة .

ان حركة المقاومة لم تنهزم . غير ان ثمة وهمين انهزما في الواقع : الوهم الاول ان الثورة هي انتصارات دائمة ، هي خط لا ينكسر متصاعد للاعلى غير قابل للتراجع احيانا والنكسات كذلك ، هي المنعة المطلقة التي يخترقها خارق . والوهم الثاني ان الثورة يجب ان يكون مرضيا عنها من الجميع ، « محبوبة » من الجميع ، مباركة مدللة وجاهية . وعندما اثبت الواقع ، الممارسة ، التجربة ، ان هذين مجرد وهمين وان الامور **يجب** الا تكون كذلك (واذا كان الامر هكذا حقيقة فان ثمة خللا ما في الثورة) وضع بعض ارباب هذين الوهمين انفسهم **في جو الهزيمة** الذي أرهبهم بالفعل وسحقهم باتجاهين متنافرين : اما الهروب الى الامام بالحكم بالاعدام على المقاومة «المهزومة» ومحاولة البحث عن شكل اخر من العمل (مقولة الحزب مثلا) متجاهلين ان المقاومة ما تزال واقعا ينبض عرقه بالدم ، واما النكوص وتبرير النكوص بحجج كالتي سلفت.